

# القصص

قصة مصرية

تمت جدار المسجد خطوات ... ثم توقف عن سيره وأخذ يفكر ... ثم ارتد إلى حيث كان ، حثماً الخطي كأنما يسوقه سائق ... وعطف على البئر وقلبه شديد الخفقان

« جميلة ... »

« نعم ... »

« أملاّت الجيرة ؟ »

« أجل ! »

« وذاهبة إلى البيت ؟ »

« أجل ! »

وكانت الجيرة على رأسها ، وقد تهياتت للسير ، فاستدارت ووقفت ... ..

ومد عنقه وقال :

« سأروح معك من غرب البلد ... لأن كلاب الشيخ عبد الكريم عادت من العزبة ... وهي تقطع على الطريق »

« هيا ... .. »

ومشياً صامتين والليل ساكن والقرية نائمة ، والظلام مخيم ؛ حتى أحس بأنفاسه خلصت ، فأدرك أنهما خرجا إلى الخلاء . وبعد خطوات سمع حفيف الزرع في عيدان الدرة ، فأيقن أنهما قريبا من الحقول ، وسأل وقلبه رجف :

« أوصانا بستان الشيخ حسين ؟ »

« قربنا ... .. »

ولم يكن ألف هذه الطريق ، وإن يكن يعرف أن هناك قناة صغيرة تمتد بين البستان وحقل الدرة ، وعليهما أن يعبراها لينحدرا منها إلى جنوب القرية ، ثم إلى حبهما . وكان منذ أن غادر البئر واقفاً تحت تأثير خواطر عاصفة ، اشتغل لها رأسه ، وبجاش صدره ؛ فكان يتخلف عنها قليلاً ويجعلها تتقدمه خطوات . فهذه هي المرة الأولى التي يتفرد فيها مع امرأة في ظلام الليل وسكونه ، على أن تخلفه عنها لم يخفف من حاله ، بل على العكس من ذلك ، كان يفسح المجال لوضوح رغباته

## الأعمى ...

[تتمة ما نشر في العدد الماضي]

### بقلم محمود البدوي

يق الأعمى في المسجد بعد أن فرغ المصلون من صلاة العشاء بساعة ، ثم مشى إلى جانب النبر فتناول عصاه وأم الباب ، ولما بلغ عتبة سمع صوت الدلو في البئر ، فنصب قامته وأرهف سمعه .. لقد جاءت جميلة على عادتها ، ولكنها متأخرة قليلاً هذه الليلة . واستمر واقفاً وسمعه إلى الماء التقاطر من الدلو كدفعات الطرغيب سحاب ورعد ؛ ثم انقطع صوت الماء ، فأدرك أنها ملأت الجيرة ، فدفع الباب وخرج ، ومضى

سطر الرحمن في صفحته نوراً سواوياً سنيا وأجاد الله في صنمته - لم يدع في خلقه للنقص شيا ليت شعري ما عسى جنته طهرت من نقصنا وأبهجت ليتنى رضوانها أو ليتنى وأرى شخصك فيها ملكاً تناسجى حبنا عن كسب ونرى الرحمن فيها أو نرى فهناك المثل الأعلى لمن تم إذن نع إلى الروض سوا لا يطيب العيش لي منفرداً لو ملكت الخلد وحدي لم أكن نزلت قسي إلى مؤنسها (الاسكندرية)

نوره نوراً سواوياً سنيا  
لم يدع في خلقه للنقص شيا  
تلك حيث النفس لا تلقى ردياً  
من سناه كاملاً فيها جلياً  
ملكٌ فيها يظل الدهر حياً  
تناسجى الحب في الخلد سواياً  
ويكون الحب حياً أبدياً  
من يرى الرحمن في الخلد هنياً  
عرف الأذى من الدنيا قويا  
يا حبيبي ، فتح الصبح فيها !  
أوأرى وحدي جلال الحسن شيا  
لا عن النفس ولا عنه رضا  
أو حبيب أجتلى منه الحيا  
عماه علمي

الظلام الى المصير الحتم ... لقد غدت جميلة ، فتاة الريف العفيفة الطاهرة ، المرأة الدنسة القذرة التي غاست بقدمها في الوحل ... سيظل الوحل عالقاً بها دائماً ، وان غسلت رجلها صباح كل يوم ومساءً ، سيظل الوحل عالقاً بها أبداً

ستذكر دائماً أن قوة خفية ساقتها ، بحض ارادتها ، الى الوحل ، قوة أعلى منها لا تستطيع فهمها ولا تحاول فهمها ولا تملئها . هذه القوة الخفية الأزلية تعمل دائماً من وراء الحجب ، تعمل أبداً من وراء النيب ، وتسوقنا الى المصير المحتوم ستذكر جميلة ، الفتاة الريفية الجميلة المزهوة ، أن قوة خفية ساقتها الى البئر ، لتقودها الى الأعمى ، ولتجرها الى الحقل

لا لذة ولا ممتة ، ولا احساس بشيء من هذا كله ، ولكنها استسلمت ورضيت ، لأنه حكم عليها بأن تستسلم وترضى لا احساس بنشوة ، ولا شعور بممتة ، وانما مر كل شيء كالماصفة الهوجاء وهي تلف كل شيء لفاً

لمسافتحت عينها على الدنيا الرحيمة الباسمة ، من قبل ، كان كل شيء قد تغير ؛ كل شيء قد تغضن واربد وعلته غشاوبات ، ولغه السواد في جيلبابه ، وطوته الماصفة الزعناء في طياتها ؛ كل شيء قد أعمى من باصرتها ومات وذهب مع الماصفة ، وبقيت ظلمات يأخذ بعضها برقاب بعض .... وعليها أن تسير في جوف الظلام وتمضى

ستطلع شمس الصباح الجميلة على القرية الوداعة ، وستقابل القرويات ، وستحدث وتبتسم وتضحك ، ولكن بأى وجه ؟ وأى لسان ؟ ؟ وستقابل الزوج ، عند ما يطلع النور ؛ ستواجه زوجها وتقف أمامه ؛ ولكنه لن يعرف شيئاً ، ولن تعرف النسوة شيئاً ، ولكنها مع هذا ستشعر بالجل ، وتغض الطرف وتنعكس الرأس ، وهي الجميلة المزهوة التي تلوح على أقرانها ولذاتها ستسير في القرية مطأطئة الرأس ، خافضة الطرف ، لا تستطيع أن تقابل نظرة امرأة عنثها ... ستفعل ذلك ما دام الاحساس بالجرعة بلازمتها ؛ وإذا ما بارحها هذا الاحساس ستنسى ، ولكنها لن تستطيع أن تنسى كل شيء . ستذكر دائماً أنها فعلت ذلك بحض ارادتها ، وكان عليها أن تقاوم وتمزق الثوب وتشق الجيب ، وتملأ الدنيا صياحاً . إنها لم تأخذ شيئاً ، لم تأخذ شيئاً مطلقاً ، وأخذ الرجل كل شيء !

ولن تذهب إلى البئر بمد اليوم ، لاني الصباح الباكر ،

وتركزها وأخذها السبيل عليه ، ففضى وراءها والاضطراب يصف بقله وصدره وكيانه ، حتى وصلا الفتاة فدفع لها عصاه ، ونزل وراءها في الماء ، وغاست أقدامهما في الوحل ، وخرج ينفذ رجليه في المشب الممتد على حافة الحقل . وأزلت هي جرتها وانحنت على الماء تنسل رجلها ، ثم انتصبت تصالح ثوبها ، وهو واقف خانها يفتح رثيه وصدره لهواء المساء الليل ، ويحاول أن يتحى عن رأسه الخواطر الماصفة التي ألهمت بأليافه وهيمت على كيانه

وواجهته وقالت بصوت ناعم :

« ناولنى ... .. »

فديده إلى الجرة ... فليست يدها ، فكأنما لامسه لمب كاو ، فوقف ويده تلامس يدها ثم أمسك بيدها ورفعها عن الجرة ، حتى استطاع أن يقبص عليها بقوة ، فدت وجهها مشدوهة وقالت وصوتها يرتمش :

« ناولنى .. .. »

فرقع يده إلى ذراعها وضغط ، وقد أحس بألياف لحمه تلهب

« ن ... ناولنى ! ... »

فأبقى يده ضاغطة على ذراعها ، وهو واقف يتردد

« ما الذى تريده منى ؟ »

فلم يقل شيئاً . ثم مال عليها وضمها إلى صدره ، وضغط على جسمها فترأى ، وحلها على ذراعيه بسرعة ، ودخل بها حقل الذرة ... ..

\*\*\*

مشت جميلة إلى بيتها خائرة القوى ، مرضوضة الجسم ، ذاهبة اللب ، وقد اسود في نظرها الوجود واحلركت الدنيا ... مشت ذاهلة سائمة لا تحس بشيء مما حولها ، ولا تعرف إلى أين هي ذاهبة ... على أن رجلها كانتا تقودانها ، بحكم العادة ، إلى بيتها . مشت تحملق في الظلام ، وهي والهة مرعاة ترى بمد كل خطوة شبحاً ، وتتصور عند كل قدم حفرة ... .. لقد فعلتها . . مع من ؟ مع سيد الأعمى ... لقد ساقها قوة أزلية الى الهاوية ! لقد حملها المقدر الحتم الى الوحل ... لقد جرفها التيار فنصت في الوحل الى ساقها

إننا تسير في الطريق مسوقين بقوة أعلى منا وأقوى . قوة جارفة لا نستطيع ردها ، ولا تقوى على دفعها ، تسوقنا في

ولا في الليل الزاحف ؛ لا وحيدة ولا برفقة أحد . كل ما توده الآن هو أن تنسى ، هو أن تحاول أن تنسى . كل شيء في الحياة يتغير في ساعة ، يتغير في ساعة أزلية مسطورة في صفحة حياتنا . لقد غدت الفتاة الشرفة الضاحكة الناضرة ، المرأة المشوهة المنكسرة الواجحة ... بعد ساعة مررت كالعاصفة

فتاة الريف لا تزال بخلفها البكر ، لا يزال ضميرها حياً ، لم تخدره بهارج المدينة الكاذبة ، إنها لا تزال ترى الأشياء على حقيقتها . لا تزال بطبعها البكر طاهرة تقيّة قوية الايمان عفيفة الأزار . . . . . تستهول الجريعة الجنسية ، وتستفزع الحياة الزوجية ، وترجف حتى من مجرد التفكير فيها ، هكذا شعورها بفطرتها ، تعرف من غير معلم ولا مدرسة أنها خلقت لرجل واحد ليس إلا . رجل واحد يأخذ منها قلبها وجسمها ، ويستغرق تفكيرها ووجودها . وتدفعها فطرتها الى أن تكون له أبداً . أما إذا زلت قدسها ، وجرفها التيار الى الوحل مرة ؛ فما الذي تفعله ؟ تحاول بكل ما تستطيع من قوة أن تنسى . . . لأنها لو ذكرت ربما طردتها مع الذكري أشياء لا تحبها ولا تود التفكير فيها

ولما أشرفت على الجسر الذي ستندرد منه الى حياها راعها تباح الكلاب الشديد ؛ إنها لم تنبح بمثل هذه الشدة مطلقاً ؛ إنها تطارد في ظلام الليل أشباحاً مخيفة تروعها . وأحست بوخز الابر في جسمها . أخذت جسمها يرتعش ، ومع العشة برودة الثلج . شالت الى جدار قائم في الطريق واعتمدت عليه دقائق . ولما رجعت إليها بعض قوتها استأنفت سيرها ، وتقدمت تسحب رجلها سحبا ، وقد آب لها بعض حسنها ؛ على أن جسمها كان يشوكه مثل الشوك دائماً . وأخذت عينها الترفة ، وماؤها يتدافع ويجري . وقد تراقصت للصور في غيبتها واختلطت . بعد خطوات ستصل المنزل وتلاقى زوجها . وحدثت في الماء وهو يجري متدفقا مطلقا كالسهم ، لا شيء يقف في طريقه ، يجرف ممه دقيق الحصى والتراب ، ويحمل على متنه خفيف الريش ، لقد حملها التيار ، الى أين ذاهبة ؟ الى أين ذاهبة ؟

ما الذي سيحدث لو علم زوجها ؟ سيدبحها كما يدبح الفروج . ليس أيسر على الريف من ذلك في سبيل عرضه وشرفه ، وهو ثروته الباقية على الأيام . ماذا يحدث لو علم لداتها ؟ ؛ ما الذي سيحدث لو علم أقرانها اللواتي ترحي عليهن بجبالها وتشمخ ؟ سيمزقنها بالسنتن ، وستنفو حديثهن في كل سمر ، ومتمتهن في

كل مجلس . ما الذي سيحدث لو علم أهلها ؟ أخوها أقوى شباب القرية سيدفنها حية كما دفنت ناعمة ومبروكه وعزيزة من فتيات القرية التي حامت حولهن الشهات ، وعنى عليهن الآن ذيل النسيان فلا يستطيع أحد أن يذكرهن لأن في الذكري جريعة . . . حتى ذكرهن عند القروي جريعة

ونزلت من الجسر الى الدرب الذي في نهايته منزلها ، ومشت مستريحة الى الظلام المتكاثف . كل ما توده الآن هو أن تسير في جوف الظلام متقية به أعين الناس . لقد مشت على الجسر راجفة مروعة تخاف أن يبصرها خفير الدرك ، ولكنها الآن في جوف الظلام آمن وأسلم

وتقدمت في الدرب متخاذلة متخاذلة تحمس الأرض تنشق تحتها ، تصعد أكوام الرمال اللقاة عند أبواب المنازل وتهبط معها وهي تصور أنها ترقى تل الصحراء . ولما بلغت باب البيت وقفت لحظات . . . ثم تجاوزت ودفعته كان زوجها قائما على السطح فانتبه على حركة الباب ، وصاح بصوت جاب :

« تأخرت يا جميلة . . . »  
وكان صوت زوجها يردد . آواه ظننه قائما فاذا بعينه ساهرة ، فلم تجب ، وغضت رأسها ووقفت في صحن البيت جامدة . ولو يبصرها زوجها لرأى أعرب صورة . ولم ينتظر جوابها فصمت ، ثم قال بعد مدة :

« اسق البقرة واعلفها . . . »  
ومضت فترة قصيرة سمع بعدها بكاء عالياً ، فسأل بنفض وقسوة ، فأسخف ما في نظر القروي بكاء امرأة :

« ما الذي جرى ؟ »  
فلم ترد . . . وزاد نحيبها  
« ما الذي جرى ؟ »  
واتعصب وأطل من صحن البيت  
« ما الذي جرى ؟ »

« الج . . . الجر . . . الجرة . . . آه . . . أميء . . . »  
« كرت ؟ »  
« أجل . . . آه . . . أميء »  
« وهي تستحق كل هذا البكاء ؟ . . . كفى ! »  
« آه . . . أميء . . . آه . . . »

« كفى ... » بصوت راعد

نقبت زفراتها وغضت عبراتها ودفنت وجهها في حجرها  
وام الزوج وغط !

\*\*\*

زحف الأعمى الى المسجد قبل الفجر ، وهو متخاذل الجسم  
متسمر الجحمة . وكانت قد ساورت في الليلة التي خلت هي  
شديدة تصبب لها عرق يملأ القرب ؛ وبات يتقلب على مثل  
الشوك ويود من فرط الحمى التأججة في جسمه من يقذف به الى  
اليم . يبدو أنه نحامل على نفسه للاح النور ومثني الى المسجد  
متروكاً على عصاه ، فما من الأذان بد . أجل ما من الأذان بد !  
كيف يفغل عن أذان الفجر !

وصعد الى سطح المسجد وقف ناصباً قامته ملواعة عنقه ، ويده  
على الساعة يتحسس بها القرب ، حتى حان وقت الفجر فوضع  
يده عند أذنه وانطلق ... !! ولكن ما هذا ؟ ما الذي جرى ؟  
لقد اختنق صوته واحتبس ، وأصبحت الحروف تخرج من  
حنجرته مصفرة عاوية عواء الذئب . ما الذي حدث ؟ ما الذي  
جرى ؟ حاول مرة ثانية فأخفق ، وتمهل لحظة ؛ وحاول مرة  
ثالثة ، فأخفق أيضاً ؛ وهبط الى سخن المسجد ، وهو يهتز اهتزاز  
القصبية الجوفاء في مهب الريح العاصف ، وتقدم حتى وقف على  
رأس رجل نائم

« يا شيخ علي .. شيخ علي .. ! »

« نعم ... »

« قم أذن الفجر ... فصوتك لا يطاوعني اليوم ... أصابني  
البارحة برد شديد ... »

وبأرح المسجد قبل طلوع الشمس ، وسار على الجسر حتى  
بلغ الحقول المجاورة . وكان قد نال منه التعب ، وبلغ منه الجهد ،  
فاستراح تحت شجرة من شجر السنط ، وضرب بهواء الصباح  
على أذنه فنام حتى القيالولة . وقام وقد حيت الشمس ، وتوقدت  
المهاجرة ، وانقلب الهواء راكداً خائفاً يلفح الوجوه بوهج  
السمير ، واستوى على قدميه وأمسك بعصاه ، وأجه الى القرية ،  
وكل شيء فيها ساكن وادع إلا الأطفال الذين لا يقيمون وزننا  
ولا يبالون بحر أو برد

٧٠٣

« أحمد ... سيد الأعمى ! »

« صحيح ؟ ... »

« والنبي ... »

ويجمع الصبية على الجبر ، ووقفوا صامتين وعلى شفاههم  
بسات خفيفة ، حتى جاوزهم الأعمى ، وهو يسير سيره المألوف .  
ولما بعد عنهم قليلاً ، رماه أصفرهم بحصاة استقرت عند صدغه .  
ما هذا ؟ لقد أصابته للمرة الأولى أول رمية أصفر صبى ! ما الذي  
جرى ؟ وانهاوا عليه بعد ذلك يدا واحدة حتى أمطروه وابلا من  
الحصى والحجارة . فاستدار لهم الرجل . وقد تميز غيظاً ، ولوح  
بعصاه يهدد ويتوعد ، فنفرقوا عنه واستأنف سيره بمد برهة  
قليلة ، واستأنفوا هم بدورهم حصام وحجارتهم . فأقل الصبر  
عند الأطفال ! وأصابه حجر في الجانب الأيسر من صدغه  
فشجه وسال الدم ، وآلمه الجرح جداً حتى خرج به عن  
رشده ، فدار على عقبيه وجرى وراء الصبية يضرب بعصاه يميناً  
وشمالاً ، ولا يبالى أين تقع وتصيب ، وهو مخبول تماماً ، حتى  
أصابته ضربة قوية صيماً في رأسه فجرحته جرحاً بليناً ، وزا  
دمه الأحمر فاطلخ وجهه ؛ وكان الكلب رابضاً على الجسر في  
ظل جدار لتزل خرب ، وعينه إلى المركة التي حيت واشتدت ،  
فقام ينفذ جسمه نفث الليث ، وتوثب وثبات جامحة ، ثم  
دار دورات سريعة يقذف في خلالها الهواء بشار وجليه ، ثم  
انقض على الرجل فزق الجزء الأمامي من ثوبه ؛ وطار به ،  
والصبية يبصرون هذا ولا يكادون يصدقون ، وشجعهم الكلب  
على معاودة الكرة على الرجل فأنهالوا عليه ، وقد حموا ونشطوا ،  
يرجمونه بالحصى والحجارة ، حتى انطلق الرجل يسابق الريح . وما زالوا  
يتبعونه حتى أجلوه عن القرية . ولما كلت سواعدهم رجوا  
الى القرية ضاحكين . وانطلق هو يجرى كالمجنون لا يلوى على شيء

\*\*\*

وبصر القرويون في صباح اليوم التالي وهم في الطريق إلى  
سوق « المركز » بجثة ملقاة على قارعة الطريق ، ففهم من قال  
إنها لسيد أعمى ؛ ومنهم من أنكر ذلك  
على أن الذي نحن على يقين منه أن الرجل لم يدخل مسجد  
القرية بعد ذلك أبداً

محمد البري